

وربما سأل سائل : فماذا عن الركن الخامس من أركان التشبيه ؟ أيجوز حذفه أم يحتم ذكره؟ والجواب : ليس هنالك من لفظ للغرض ولكن الغرض من التشبيه إنما هو غاية يهدف المتكلم إلى تحقيقها وإفادتها بعقد هذا التشبيه ، فالغرض إذاً يفاد بأسلوب التشبيه وبجملته التى تبنى من أركانه الأربعة الأخرى ، فإذا أفادت هذه الجملة الغرض كان التعبير جيداً ومحققاً للغرض من التشبيه ، وإذا لم تفده كان التعبير معيباً ومخللاً بالغرض من التشبيه على نحو ما سنرى عند حديثنا عن أغراض التشبيه .

هذا والتشبيه من فوائده أنه يوسع آفاق التعبير أمام المتكلم فيستطيع عن طريق الصورة أن ينقل ما رسم فى ذهنه من معان إلى السامع أو القارئ وذا لأنه يجمع بين الإيجاز وحسن البيان والمبالغة فى تأكيد المعانى وتقريرها ، وسنفضل القول فيما يلى فى العناصر التى تسهم فى بناء التشبيه وتكوين الصورة وتصوير الخيال ونبدأها بالحديث عن طرفى التشبيه .

مباحث الطرفين

الطرفان وهما المشبه والمشبه به لهما صفات يتصفان بها أو أحوال يكونان عليها وقد نظر البلاغيون إلى هذه الصفات أو إلى تلك الأحوال ونوعوا التشبيه أو قسموه تبعاً للحال التى يوجد عليها كل من المشبه والمشبه به ، نظرُوا إليهما من جهات مختلفة وحيثيات متعددة وزوايا متنوعة ، فالطرف قد يكون حسياً وقد يكون عقلياً وهذه جهة نظر منها البلاغيون إلى التشبيه ونوعوه أنواعاً والطرف إما أن يكون مفرداً مجرداً أو مقيداً بقيد له أثر فى التشبيه أو يكون هيئة مركبة من عدة أمور قد امتزجت وهذه جهة ثانية من خلالها نظر البلاغيون إلى التشبيه فقسموه أقساماً ، والمتكلم قد يشبه أمراً واحداً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة وقد يشبه أمرين أو أموراً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة وقد يشبه أمرين أو أموراً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة وقد يشبه أمرين أو أموراً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة وقد يشبه أمرين أو أموراً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة وقد يشبه أمرين أو أموراً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة وقد يشبه أمرين أو أموراً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة وقد يشبه أمرين أو أموراً بأمر واحد أو بأمرين أو بأمر عدة قد يكون واحداً وقد يتعدد وهذه زاوية أخرى على أساسها قسم البلاغيون التشبيه أقساماً وقبل أن نخوض فى هذه الأقسام أو فى تلك

الأنواع نريد أن نقف على هذه الأحوال التى يوجد عليها الطرف أو الصفات التى يتصف بها والتى على أساسها كانت هذه الأنواع .

ما معنى حسية الطرف ؟ وما معنى عقليته ؟ :

معنى حسية الطرف أن يكون مدركا هو أو مادته التى يتركب منها بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وهى : البصر والسمع والشم والذوق واللمس ، فمثال المدرك بإحدى هذه الحواس ، ضوء الشمس فإنه مدرك بحاسة البصر وتغريد الطائر فهو مدرك بالسمع وطعم الفاكهة يدرك بالذوق ورائحة المسك تدرك بالشم ونعومة الحرير تدرك بحاسة اللمس ، ونستطيع أن نجعل هذا حسيا حقيقيا لأن الطرف ذاته قد أدركناه ووقفنا عليه بإحدى الحواس ، ومثال ما أدركت مادته التى يتكون منها بإحدى الحواس : تخيل قصر من ذهب أعمدته من فضة أو تخيل بحر من مسك موجه الذهب أو تخيل أعلام من ياقوت قائمة على أعمدة من زبرجد ، فتلك أمور خيالية اخترعها الخيال وألفها من أشياء محسوسة موجودة ، وهذه الهيئات المركبة لا وجود لها فى الواقع ولكن أجزائها ومادتها التى ركبت منها وهى : الذهب والفضة والمسك والياقوت والزبرجد موجودة ومدركة بالحس ، ونستطيع أن نجعل هذا حسيا غير حقيقى أو حسيا خياليا لأن الطرف نفسه غير مدرك بالحواس ولكن الذى وقفنا عليه وأدركناه بإحدى الحواس هو مادته أو أجزاؤه التى ركب منها .

ومعنى عقيلة الطرف : ألا يكون هو ولا مادته مدركا بالحواس بأن يكون من المعانى التى يدركها المرء بعقله مثل : العلم والحياة والذكاء والمروءة والكرامة والإباء والنجدة . أو يكون من المعانى التى يحسها بوجدانه نحو الجوع والعطش والشبع والفرح والحزن والطمأنينة والخوف . فلا مدخل للحواس الخمس فى إدراك هذه الأمور وإنما مجال إدراكها هو العقل أو الشعور الوجدانى والحس الباطنى . ويلحق بالطرف العقلى الأمور الوهمية التى لا وجود لها ولا لمادتها فى الخارج ولكنها استقرت فى وهم الإنسان نتيجة أسطورة أو عقيدة موروثية مثل : أنياب الغول وروعوس الشياطين . وفرق بين الطرف العقلى

والطرف الوهمى ، فالعقلى له ثبوت وتحقق فى الذهن ولكن لا مدخل للحواس فى إدراكه بأى وجه من الوجوه كما رأينا . أما الوهمى فلا ثبوت ولا تحقق له عقلا ولا حساً لعدم وجوده لكن لو فرض وقدر وجوده لأدرك بالحواس لأننا عندئذ سنرى الغول ونبصر أنيابها ونشاهد صورة الشيطان وصورة الغول وقد جسمنا فى عالم المراتب . كما أن هنالك فرق بين الطرف الوهمى والطرف الخيالى ، فالخيالى هيئته التركيبية لا وجود لها ولا تحقق ولكن أجزاء هذه الهيئة ومادتها موجودة ومدركة بالحواس والوهمى لا وجود له ولا لأجزائه حتى تدرك وتُشاهد ولكن لو قدر وفرض وجوده وتحققه كان مدركا بالحواس كما قلت .

ما معنى أفراد الطرف وتقييده وتركيبه ؟

وأفراد الطرف معناه : أن يكون شيئا واحدا متميزا بذاته ليس مقيدا بقيد يؤثر فى صورة التشبيه وليس هيئة مركبة من عدة أمور ومثاله الزهر والروض والنجوم والقمر والشجاعة والبحر والوجه .

ومعنى تقييده : أن يرتبط الطرف ويقيد بوصف أو بإضافة أو بحال أو بحار ومجرور تقييدا لا يبلغ حد التركيب شريطة أن يكون لهذا القيد أثر فى تحقيق وجه الشبه مثاله : الراقم على الماء والمرأة فى كف الأشل وذلك بأن يشبه الرجل يجهد نفسه فى عمل لا يثمر بالراقم على الماء وأن تشبه الشمس بالمرأة فى كف الأشل فقد قيد المشبه به بالجار والمجرور وهذا القيد له تأثير فى تحقيق الوجه كما لا يخفى إذ الوجه فى المثال الأول هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة وفى الثانى الهيئة المركبة من الإشراق والاستدارة والتموجات المستمرة . فالقيد إذاً له أثر فى تحقيق وجه الشبه ، فإذا قلنا هذه الفتاة الطويلة كالبدنر إشراقا وهذا الرجل الأسود كالأسد شجاعة ، فلا يعتد بصفتي الطول والسواد ولا تكونان قيدين فى المشبه لأن وجه الشبه وهو الإشراق والشجاعة لا علاقته له بالصفة المذكورة ولا أثر لهذه الصفة فى تحقيقه .

ومعنى تركيب الطرف أن يكون هيئة مؤلفة من أمرين أو من عدة أمور قد امتزجت امتزاجا يجعلها فى حكم الشئ الواحد ومثاله : الهيئة المركبة من الغبار المثار فوق رعوس المقاتلين والسيوف اللامعة المتحركة حركة مستمرة وسط هذا الغبار ، والهيئة المركبة من ليل مظلم ونجوم تنهاوى وسط هذا الظلام .

ما معنى وحدة الطرف وتعددة ؟

ووحدة الطرف : أن يكون أمرا واحدا مثل محمد كالأسد ، فقد شبه شئ واحد وهو محمد بشئ واحد وهو الأسد فالطرفان هنا يتصفان بالوحدة .

ومعنى تعدد الطرف : أن يكون أمرين أو عدة أمور ولكن لا يمزج بينهما بل يظل كل أمر منهما على حدة وإلا لصار طرفاً مركباً .

ومثال التعدد قول امرئ القيس :

كان قلوب الطير رطبا ويابسا

لدى وكرها العناب والحشف البالى

فالمشبه فى البيت وهو قلوب الطير الرطبة وقلوبها اليابسة والمشبه به متعدد أيضا وهو العناب المقابل للقلوب الرطبة والحشف البالى المقابل للقلوب اليابسة ولكن لا امتزاج بين الأمرين المشبهين ولا بين الأمرين المشبه بهما . ومنه أيضا قول أبى الطيب :

بدت قمرا ومالت خطوط بان وفاحت عنسبرا ورنست غزالا

أى : بدت هذه المرأة بوجه كالقمر ومالت بقوام كغصن البان وفاحت برائحة كرائحة العنبر ونظرت بعين كعين الغزال ، فقد شبه أمورا متعددة بأخرى كذلك .

وبعد أن وقفنا على هذه الأحوال للطرفين وأدركنا حقيقة كل حال منها وكيفية اتصاف الطرف بها تنتقل الآن إلى أقسام التشبيه باعتبار كل حال من تلك الأحوال .